أحمد عبد العزيز
ذهب
مع الموت
قصة قصيرة
أدباء 2000 للنشر و التوزيع

محفوظة الإلكتروني و الورقي النشر حقوق جميع للناشر.

قصة قصيرة : ذهب مع الموت

الكاتب : احمد عبدالعزيز

تاريخ الاصدار الالكتروني: نوفمبر 2017

الناشـــر:

دار" أدباء 2000 للنشر والتوزيع "

المدير العام: **منة عامر.**

Mobile: 01099654718

E.mail:

Odabaa2000@gmail.com

Website:

http://entashaaer.wix.com/odabaa2000

Facebook:

https://www.facebook.com/Odabaa2000/?ref=br_rs&pnref=lhc

https://www.facebook.com/odabaa2000.Publishinghouse

تصميم الغلاف: **محمد علي.**

تصحيح لغوي: **منة عامر .**

الايميل الخاص بالكاتب :

https://www.facebook.com/ahmed.zezo.908347

ذهب مع الموت

قصة قصيرة

احمد عبدالعزيز

منطلق و البهجة تملأنى، كف يدى اليسري صغيرة لغلام إبن إحدي عشر عاما تبقي صغيرة لكف يد أبي اليمنى التى تمسك بي ، الرمال الساخنة الناعمة تلامس قدمى ، الشمسالساطعة على الشاطئ تبدو لطيفة رغم حرارتها ، البهجة تملأنى لأنّ أبي كما تعودنا منذ بداية المصيف بشاطئ الغردقة نذهب للسباحة صباحا ولكننا تأخّرنا فى يومنا هذا تقريبا ساعة أو أكثر والشمس بدت حارّة..

بدأ أبي " نادر" الحديث وقال وهو يسير بسرعة..

يكاد بسرعته يجرّنى خلفه بيمناه و بيسراه يحمل حقيبة صغيرة بها بعض أغراض السباحة :

_ أسرع يا آسر .. فيبدو لى أن الشاطئ ممتلئ الآن !

فقلت له مداعبا :

_ إذن فنعود !

فتوقف والتفت لى فى حدّة وقال :

_ الآن ؟!... بعد كل هذه المسافة تنطقها ..... لا ليس الآن أيها الناصح الصغير ..فكما أخبرتك وكما تريد ستعود للديار وأنت أفضل منى فى السباحة كما وعدتنى ، فابن عمك رامي ليس أفضل منك فى شئ ليسبقك ... أليس هذا ما تريده أيها الغلام ؟!

فقلت بحماس :

_ نعم بالتأكيد .

فقال بعدما نجح فى إشعال الحماسة فى جميع أجزاء جسدى :

_ إذن فهيا .

فإنطلقنا فى هذة المرة نعدو نحو الشاطئ و نحن نضحك ولكنّي وقعت عينى على رجل يرتدي جلباب أبيض يقف يحمل عوّامات الأطفال لبيعها وجدته ينظر لى مبتسما بل ويلوّح نعم إنّه يلوح لى فتوقفت عن العدو فتوقف أبي بدوره والتفت لى قائلا :

_ لماذا توقفت ؟!

فقلت له مشيرا نحو الرجل :

_ أريد عوّامة .

فصاح أبي مستنكرا :

_ عوّامة ؟! هل هذا ما تريده حقا ؟!....كيف إذن تريد أن تسابق رامي إبن عمك.....

لم تجد كلمات أبي مفعولها السحرى تلك المرة ووجدت نفسي مجذوبا نحو هذا الرجل المحتفظ بإبتسامته

بطريقة بدت مستفزة جدا ... فاتجهت نحوه وأبي ينادي صائحا فى وأنا أتجاهله عن غير عمد وها أنا وصلت أمامه وهو يبتسم لى ولا يبتاع منه أحدا ولا يقترب منه وكأّنّه جاء من أجلى .... طويلا يرتدي جلبابه الأبيض يكاد شعره الأبيض رغم سنه الصغير فى اوائل الثلاثينات يتلألئ فى ضوء الشمس... تفحصته جيدا وهو يبتسم لى ... ووصل أبي نادر حيثما وصلت و عاتبنى بصياح :

_ كيف تتركنى هكذا و أنا أنادى عليك ؟... ألن نذهب للسباحة ؟

لم أجد ردا لأبي أفسّر به ما حدث فوجدت الرجل باغت أبي قائلا :

_ ربّما يود الغلام عوّامة مناسبة يسبح بها فى البحر .

إلتفت أبي للرجل فتغيرت ملامح أبي من العتاب

والغضب فتبسّم قائلا كالمسحور :

_ ربما ؟!!!!!

فالتفت أبي إلىّ قائلا :

_ أتود حقا عوّامة ؟!

لم أنتبه لنفسي إلا بعدما أومأت برأسي إيجابا فتابع أبي

وقال للرجل :

_ إذن فأعطنى واحدة .....

ثم أشار علي إحدي العّوّامات التى يحملها هذا الرجل

وقال :

_ تلك الحمراء ...فهو يحبّذ هذا اللون .

تناولها أبي منه بعدما أعطاه ثمنها و أعطاها لى و بقيت

أحدّق فى الرجل الذي عاد يبتسم لى من جديد فمسح

على رأسي مال علىّ وهتف قائلا لى بصوت خافت لم

يسمعه أبي وهو يعيد محفظة النقود لحقيبته :

_ أراك لاحقا ... سريعا .

ثمّ عاد واقفا و سار مبتعدا و أنا أراقبه فقال أبي وهو ينظر لساعته :

_ هيا يا آسر .. لقد تأخرنا كثيرا .

قالها أبي و جذبنى نحوه وانطلقنا نحو الشاطئ مسرعيِن و أنا لا أستطيع التوقف عن التفكير فى هذا الرجل و كلماته .

بعد أكثر من بضعة دقائق وصلنا للشاطئ وجدنا مكانا مناسبا لحقيبتنا التى تحوى أغراضا غير هامّة سوي القليل من النقود وضعتها بجانب شخصا يفترش الرمال ويراقب البحر و كأنّه ينتظر حوريته تعود منه ووعدنا بحفظها .

تناولت عوّامتى الحمراء وبدأت رحلة السباحة بصحبة أبي الذي أمرني بعدم الإبتعاد عنه و أبقي بجواره فى مياه البحر ، بقيت بجواره أسبقه أحيانا و يسبقنى أحيانا حتى طلب منى أن نعود فالمياه بدت ساخنة ونحن فى منتصف النهار فرفضت قائلا :

_ أريد أن أسبح لتلك النقطة وحدى وتخبرنى عندما أعود بما قضيته من وقت عبر ساعتك المائية .

قلتها و أنا أشير لنقطة بعيدة تكاد تبلغ مئة وخمسين مترا.

فضحك أبي ساخرا و قال يمتزج بصوت أمواج البحر :

_ وهل تعتقد أنّي سأجعلك تفعل ذلك حقا ؟!!!!

فضحكت أيضا ساخرا وقلت له :

_ وهل تعتقد حقا أنّى أستئذنك ؟!

فقال لى بصرامة :

_ ماذا تقصد ؟؟!!

فقلت له بعد أن أستدرت وبدأت السباحة مبتعدا :

_ إنّي فقط أخبرك !!!!

فصاح أبي وقال :

_ آسر .. آسر توقف ... توقف يا آسر .

لم أتوقف و أنا أضرب البحر براحتيّ اليمنى و اليسري

فقال أبي وهو بدأ يقترب منى :

_ دعنى أعقد معك صفقة ... سأجعلك تذهب ولكن

إسمعنى.. أولا .

فاقتنعت و توقفت فتابع أبي وقال :

_ سأصل هناك أنا أولا لأتأكّد من عدم وجود خطر .... يبدو

هذا عادلا لكلينا .

فقلت مقتنعا :

_ تعجبنى فكرتك ..إبدأها إذن .

فقال أبيّ بصرامة :

_ لا تتحرك إلا بعد أن أصل أنا إلى هناك وأن تحذو نفس سبيلى ولا تعدل عن مساري .

فقلت له :

_ لك هذا ....إبدأ إذن .

فنظر لي وقال لى بحنان صارم :

_ إحذر .. وإيّاك ومخالفتى !!!!!

قالها وبدأ رحلته ولكن هيهات من ذا الذي يحذر ولا يخالف ، فعندما بدأ الشيطان العبث فى عقلي إقتنعت بفكرته التي أكدت لى أنّي سأكون خارقا حقا عندماأصل قبل أبي ولكن عبر إتجاه آخر ، فأبيّ سوف يُبهت عندما يجدني هناك قبله .

وبالفعل سلكت إتجاه آخر و بدأت رحلتى التى لم تنتهى

وبدت منذ البداية وعرة صعبة فيبدو أنّي سرحت و

ابتعدت كثيرا وبدأت أمواج البحر عاتية عالية تجذبنى

لسبيل آخر فبدأت أشعر بعمقها و كأّنّ ثقبا صُنع بدأ يجذب

مياه البحر بداخله و بعد قليل سيحين دورى .

رغم حرارة المياه إستشعرت بالبرودة ولكنى لم أفزع ولم

أخضع حاولت أعاود أدراجي وأسلك درب أبي ولكن أنّي

ذلك ؟..لقد خالفته و من وقتها و الأقدار تعاندنى ، لاحظت

أن الثقب يتسع سريعا و إبتلاعه للمياه غدا أسرع ،

،وانتبهت لسماع صفّارة الخطر من برج المراقبة واضحة

وبدت كلمة غريق واضحة لأنها حالتي التى تتردد فى

جنبات عقلى .

فهل سينجح أحدهم حقا فى إنقاذي قبل أن أسقط فى

ثقب البحر الذي يزداد إتساعا و بدأ يثير ذعرى ، أو لعلّ أبيّ يستنبط سر غيابي عن سبيله فيبحث عنّي و يجدنى ولعلّه .....

اللعنة ....قد حان وقتى ها أنا سقطت فى تلك الدوّامة اللعينة التى جُهزت خصيصا من أجلى .... لا توجد مقاومة أملكها بعدما إستنفذت طاقتى من قبل لقد سقطت كقطعة معدنية تدرك أين مستقرها فى تلك الأمواج العاتية .

إستسلمت لما يحدث بدأت أفقد قواى حتى فقدت إدراكى وبدوت كما يبدو النائم ولكنّي أعلم ما يحدث حتى بدأ شريط حياتى أمامي و كأنّه فيلم قصير أشاهده أمامي وجدت نفسي رضيعا تلدنى أمّي ثم ترضعني و يداعبنى أبي و تطعمني أمّي و يداعبنى المقربين و

الغرباء ، نائما ... لاهيا .. زاحفا ..ماشيا .. متمتما ... متحدثا.

تحاول أمّي تعليمى و يحاول أبيّ تقويمي و أداعب هذا الكائن الصغير الذي جاء ليشاركنى بيتى والذي علمت بعد ذلك أنّه أخي تقاسمنا اللهو والطعام والشراب و ذهبت المدرسة و بدأت أدرك الصحيح من الخطأ حتى وصلت لنقطة النهاية ثم إنتهي فيلمي و حياتى .

بدأت أشعر بالبرودة تتملكنى ... لم أستطع مقاومتها ،جسدي يهوى فى أعماق البحر وتأكدت من رحيلى بلا شك ، أنفاسي قلت حتى إنتهت ونبضات قلبي توقفت و تأكدت من موتى .

البرودة الشديدة هى حالى والدم فى جسدي تجلّط فى أنحائه كلها ، عيناي مغلقتين ولكنى مدرك أين المستقر

و السكن .

ولكنه عاد ليوقظنى من سباتي اليقِظ ، نعم إنّه هو وجه مختلف إلى حد ما و لكنّه هو ذلك الرجل الذي إبتاعنى العوّامة ....ولكنه أكثر نورا .. أكبر حجما .... أنّي له ذلك رغم جمال وجهه حجمه الذي كُبر أصبح مخيفا لى ، أنّي له حجمه هذا و أنّي له كيف يأتي هنا تحت اعماق دون غرقٍ أو موت ؟!!!.

استشعر خوفي الكبير منه فمد يداه اليمنى التي بدت كبري أكبر من تلك التى إبتاعت لى العوّامة فأثارت ذعرى فكيف له يظهر بحجم صغير هكذا ثمّ يعود ضخما هكذا هل توفيت حقا ؟... أم هل تلك كوابيس ما قبل الموت أم هل إختار عقلي الجنون قبل الموت كمصير ؟

إبتسم هذا الرجل لى و إقتربت يمناه تنتشلنى قبل أن

أسقط فى الأعماق أكثر و أمسك بي بأطراف أصابعه الكبري و ضرب البحر برأسه فى إتجاه أفقي لم أستطع أتفوه بكلمة وأنا بحوزته وهالنى ما رأيت من روعة البحر ومنظر الأسماك المتنوعة و كائنات البحر المتعددة و الشعب المرجانيّة ... شئ ما تغيّر إحساس بالأمان وُلد فالتفت إلى سببه هذا الرجل فوجدته سبقنى بالإلتفات ويبتسم لى إبتسامته المعتادة و كأّنّه يقرأ ما فى رأسي .

دار بي فى أكثر من إتجاه و كأّنّها رحلة أعددها لى للتجول فى أركان البحر الأحمر و كان من حين لأخر يغمرنى بنظرة متفحصة حالى التى كانت منبهرة بما تراه من عوالم البحر المتعددة ، والغريب أنّي لم أشعر بشهيق أو ذفير أو حاجة للتنفس بتاتا فأدركت أنّي ميت ولكن أنّي أتأّكّد ؟!!!

وبعد أنّ سبحنا شرقا و غربا إلتفت لى وقال :

_ حان موعد العودة للمنزل ...إنّه قريب بالجنوب .

فالتفت له مفزعا و قلت :

_ ماذا ؟!

فقال لى بجدّية :

_ لا أكرر كلامى و أظنك سمعت .

فتهللت أساريري وقلت :

_ فلنعد إذن ... لقد إشتقت لأبي و أمي و أخي .

فابتسم لى إبتسامته المعتادة التى بدت لى بوضوح إنّها ساخرة نوعاً ما ، إنطلقنا أفقيا مرة أخرى عبر إتجاه جديد و إذا رأيت ثمّ رأيت سحراً و جمالا كثيرا ، ولكن كيف لهذا الرجل أن يعرف إتجاهات البحر هكذا ؟ و أنّي له الغوص لتلك الأعماق دون أن يموت مثلي ؟... أو ربما يكون ميتا

هو الآخر ؟.... اللعنة عسي أن يكون سمع أفكارى الآن و

ربما أكون أغضبته بها .. فلتخرس يا عقلى .....

ولكن ويحي مهما يحدث سوف أسأله لعلّه يصدقنى

القول .

فالتفت له و سألته مسرعا قبل التردد :

_ كيف يُعقل أن تكون حيّا على بعد هذا العمق ؟و كيف لك

تعرف كل إتجاهات البحر هكذا ؟... من أنت ؟!

فلم يبتسم تلك المرة وهو يقول لي :

_ هل حقا مازالت تعتقدنى بائع العّوّامات ؟!!

فقلت له :

_ ماذا تعنى ؟!

فقال لى :

_ إنّي كذلك فقط على السطح !!!

فسألته مبهوتا :

_ ماذا ؟!!!!

فعاد يبتسم لى قائلا :

_ ربما بعد قليل ستفهم !!

فقلت له :

_ أفهم ماذا ؟!!!

فقال مبستما لي :

_ تفهم ما تريده !

فتابعنا الغوص كما بدأناه حتى إذا وصلنا إلى صخرة

توقفنا أمامها فالتفت له متسائلا :

_ لماذا توقفنا هنا ؟!

فقال لى :

_ إنّه المنزل !!!!!

فصِحت متسائلا :

_ ماذا ؟!... إنّها مجرد صخرة ..كيف ذلك؟!!!!!

فقال وهو يمناه الضخمة على الصخرة :

_ هكذا .....

وما إن وضع يداه عليها فُتحت الصخرة كالباب ... جنّات خضراء و أشجار بيضاء و خضراء و حمراء تطرح شتى أنواع الفواكه التى علمت بها وما لا أعلم و طيور ضخمة مألوفة تطير هنا و ترقد هناك و أنوار لامعة و ألعاب وملاهي تتلألى أنوارها من هنا و صبية يرتعون هنا و هناك ... وجدتنى قد دخلت لها بالفعل و تبعنى الرجل الذي وجدنى مبهوتا بما أراه و أسمعه ولكنى لم ألاحظ أنّ الكثير من الغلمان و الصبية بدأوا يحومون و يتجمعون حوالى حتى أدركت هذا .

فتقدم الرجل الذي تغيّرت ثيابه فجأة بمعطف أبيض طويل أسفله سترة بيضاء و بنطال أبيض و نعل أبيض و يمكن القول أنّه عدّل الكثير من ملامحه فبدت أكثر جمالا ونورا فشعره الأبيض بدا يتلألئ و أصبح وجه أكثر نورا وولكنّي أعتقد أنّه غدا أكثر طولا ممّا كان عليه فى المياه .

تقدم الرجل لهم وقال مبتسما كالعادة وقال :

_ مرحبا بكم .

فقال أحدهم :

_ تأخرت علينا ..ليس كالمعتاد !

فقال :

_ ذهبت لإحضار الضيف الجديد .

فقال أخر من الغلمان :

_ صحيح وما إسمه ؟!

فقال الرجل :

_ أسر .

فقالت إحداهن من الصبايا ذات رداء أحمر :

_ إسم جميل .

فبقيت صامتا أراقب نظراتهم المتفحصة فىّ .... فأشار

لهم الرجل بالتراجع :

_ دعوه الآن .... إنّها أولى لحظاته هنا !

فقال غلاما آخر :

_ إذن فليغير ملابسه أولا .

فصفق الرجل بكلتا يديه مرتين متتاليتين فتبدلت

ملابسي فجأة إلى ملابس مشابهة لحد كبير لملابس بقية

الغلمان متعددة الألوان يغلب عليها الأخضر و الأبيض

وشعرت أنّ جلدى تبدّل و تحسنت براحة نفسية منذ

قدومي هنا فأخذت نفسا عميقا ولكنه لم يفرق معي في

شئ ، فوجئت بهم يراقبونى ويتفحصونى و كأنّي

فأر للتجارب يراقبونه بعد التعديلات ،فانتبهت لهم

وحاولت أبتعد عنهم فانتبه رجلهم لهذا فقال :

_ من سيصحب أسر فى نزهة للتعرف على أنحاء منزلنا ؟

فقالت الفتاة ذات الرداء الاحمر :

_ أنا .

فقال كبيرهم :

_ حقا ستفعلى هذا يا شهد ؟

فقالت :

_ بلى سأفعل .

فقال الرجل بجدية :

_ إذن فهو لكِ.

قالها ورحل و ذهب الباقون كل منهم لحاله بينما تبقيت

أنا وتلك الفتاة تراقبنى بينما أراقب كبيرهم وهو يرحل

وتمنيت لو ذهبت معه وبقيت ألتفت هنا و هناك بحثا

عن مهرب عن عينيها الأشد فتكا من الرصاص ، فبدأت

الحديث قائلة :

_ ألا تريد مشاهدة روعة المكان هنا ؟

فلم أنطق ببنت شفه فتابعت الفتاة قائلة :

_ ستنسي كل شئ هنا .... سوف تتمتع ما بقيت !

فقلت لها :

_ من أنت؟!

فقالت مبتسمة :

_ أنا شهد ... رفقيتك فى رحلتك هنا .... ألم تسمع إن لك

رحلة هنا وعلينا البدء بها و إلا السيد سيغضب .

فابتسمت قائلا :

_ إذن فلنبدأ قبل أن أتعرّف على غضبه .

فقالت لى :

_ إذن فهل تريد أن تطير بنفسك لمشاهدة المأوى ؟... أم

إنّك تريد أن تستقل أحد الخيول الطائرة ؟

وقالت سؤالها الثانى وهى تشير بسبابتها لمجموعة من

الخيول البيضاء ذات الأجنحة و هى تركض هنا و هناك

فذهلت من روعتهم وحدّقّت بهم ذاهلا .

فلمّا رأتنى على ذلك قالت مبتسمة لى :

_ يبدو إنّك ستختار أحدهم فى رحلتنا ... دعني أريك

جوادى .

فأشارت لأحدهم بسبباتها وهى تنادى :

_ ساحق ... هيا تعال !

فأطلق صهيلا تطرب له اذان ويأسر القلوب و أتى لها مسرعا فمسحت على رأسه برفق بعدما أحنى رأسه البيضاء لها فى طواعية و أنا أراقبهما حتى إرتقت عليه و بدأت تدور به حولى وهى تقوده ببراعة وقالت لى :

_ إذهب لهم و أختار من يناسبك ؟

فذهبت نحو تلك الخيول البيضاء الطائرة و مسحت بيدى على كل منهم حتى وجدته ناعم الملمس إنحنى لى سريعا بمجرد ما لامسته جوادا أبيض لا فرق كبير بينه و بين أقرانه الرائعين سوى رغبته الواضحة فى مرافقتى و إذعانه السريع لى، فانحنى سريعا فصعدت عليه و نجحت فى قيادته بإمتياز كما أريد ... فالأمر كله هنا متعلّق بماذا ترغب ؟!

إنطلقنا جنب إلى جنب مع الفتاة شهد بجوادينا حتى

هتفت قائلة :

_ ألن تطير ؟

فقلت لها :

_ وكيف ذلك ؟

فقالت :

_ هكذا .

قالتها ومالت على رأس جوادها و تيقنت أنّها طلبت منه الطيران فما لبث أن كف جوادها عن الركض وبدأ التحليق السماء ، فمِلت أنا أيضا على رأس جوادى الذي طار لاحقا بأخيه .

وظللت محلّقا بجوادى بجوارى الفتاة بجوادها مستمتعا بما لم تره عيناى من قبل ولا خطر لى أبدا فكم من

الملاهى الممتعة تغرينى عندما رأيتها وكم الألوان الزاهية المتلألئة التى تستهوينى .. وكلّما قررت أن أهبط نحو ناحية تغرينى تمنعني رفيقتى شهد قائلة لى :

_ حاول أن ترى كل شئ أفضل و إن كان هذا مستحيلا فليس لأحد أن يدرك شيئا ...فكل شئ محدّث باستمرار .

فأعود لعقلي متسائلا أين أنا ؟ أى مكان هذا يكون كل شئ متاح ومتلألئ دون أحزان أو أفكار أو هموم ...حقا هل هى الجنة ؟... أم إنني أحلم و سوف أستيقظ بعد قليل، فقررت أسأل الفتاة فالتفت لها متسائلا ونحن نطير:

_ فلتخبرينى حقا يا شهد ... أين نحن الآن ؟

فقالت شهد مبتسمة :

_ نحن بالمنزل..فقط نحن نتجول !

فلبثت قليلا قبل أن أعود لها متسائلا :

_ وماهو المنزل ؟!

فقالت مذهولة :

_ حقا أنت لا تعرف ماهو المنزل ؟

فقلت لها ببلاهة :

_ وماهو المنزل ؟!!!!

فقالت شهد :

_إنها الدار الآخرة يا آسر !

فهبطت بجوادى منخفضا من السماء إلى أن هبط بي

للأرض وهى تتبعنى وقلت متسائلا :

_ هل حقا كذلك ؟

قالت شهد بثقة وهى تهبط عن جوادها بعدما هبطت

أنا كذلك :

_ نعم حقا ... ألم يخبرك السيد ؟!

فقلت لها :

_ كلا .. لم يخبرنى ... ولكنى سأذهب ليخبرنى بكل شئ !

قلتها و أنا منطلقا مبتعدا عنها لأبحث عنه وبالفعل يبدو أن الأمر كله متعلّق بالرغبة .. فعندما رغبت بلقاء سيّدهم و كأنني ظهرت أمامه فجأة و أنا أسير وهو واقفا بأحد الحدائق الخضراء ذات الألوان المتلألئة يتجمّع حوله الكثير من الغلمان وهو يتسامر معهم الحديث حتى إذا ما رآنى أراقبهم من بعيد أشار لى هاتفا :

_ تعالي ... أقبل ...

وعندما وجدنى لم أحرّك ساكنا إستئذنهم وتقدّم نحوى وقال :

_ ماذا بك ؟... لماذا لم تأت؟

فقلت مغاضبا :

_ أين نحن الآن ؟

_ نحن فى المنزل .

_ وما هو المنزل ؟

فتغير وجهه فقط وقال :

_ ماذا ؟

فقلت بإصرار :

_ وماهو المنزل ؟

فابتسم لى وقال :

_ حسنا....نحن الآن فى الدار الآخرة .

فذهلت متسائلا :

_ ماذا ؟

فتابع قائلا :

_أنت الآن فى دارك الآخرة ... لقد إنتقلنا للتوّ ...ألا تذكر

البحر و ما حدث به ؟

فقلت :

_بلي أذكر ...ولكن إلى الآن لم أعرف من أنت؟

فابتسم لى وقال :

_أنا من أتى بك إلى هنا ؟

فقلت بجدّية :

_ إذن من تكون ؟

فوضع يديه على كتفيّ وقال:

_ يكفيك أن تعرف هذا الآن....ولاحقا ستفهم .

فقلت :

_ إذن فأريد شيئا .

فقال بثقة :

_ تمنّي كما تشاء...فأمنياتك كلها محققة بإذن الله .

فقلت :

_ أريد زيارة أسرتي !

فقال مبهوتا :

_ ماذا ؟

فتابعت بجدّية و إصرار :

_ أريد رؤية والدىّ و أخىّ .

فجلس على ركبتيه وأمسك بكتفيّ وقال بحنان جعلنى

أفكّر مجددا :

_ لو إنّ حقا تلك أمنيتك فلن أمنعك ولن أستطيع .. ولكنّ

تأكد إن هذا الأمر برمّته سيكون صعبا عليك تحديدا ..

فكر جيدا ثمّ أخبرنى بما تريد فعله .

ثمّ أطلق تنهيدة و اعتدل واقفا و رحل و تفكّرت فى

كلماته جيّدا وقبل أن يكمل أكثر من بضعة خطوات

هتفت له بصوت عالى :

_ لقد فكرت... إنّي أريد رؤيتهم .

فالتفت لى مبتسما تقريبا بسخرية وقال :

_ فليكن ما تريد ولكنى لن أصطحبك فى تلك الرحلة.....

وعندما تصل تذّكّر إنّي حذّرتك من الذهاب فالأمر مهيب

...وسوف تكون شهد رفقيتك ....فقط تمنّي بقوة عندما

تريد البدء.

قال الجزء الثالث من عباراته وهو يشير بسبابته نحوها

وقد جاءت وبعدما أنهى حديثه إلتفت راحلا بينما بقيت

واقفا متفكرا فى أمرى حتى وقفت أمامي شهد تراقبنى

حتى بدئت وقالت :

_ ماذا قررت ؟

تأمّلتها شاردا متفكرا فى أمرى حتى قلت لها بثقة :

_ أتمنّي بقوة .

فقالت بحماس :

_ و أنا أتمنّي مرافقتك أينما تكون .

تمنّيت بقوة الذهاب لمنزلى حيث أبي و أمي و أخي و حيّ الذي عشت به هنا المكان مذهل لم ولن يخطر على بال... ولكنى أبحث عن أسرتى ..تمنيّت بقوة أكثر فإمتلأت جسدى رعشة خفيفة حتي إنطلق جسدي للسماء كريشة قذفت بها الريح لموضع آخر وإذ بي هنا فى شارعنا و حيّنا ولكن شتان الفارق فالأنوار المتلألئة و رائحة العطر المتغيرة والنور كل هذا اضمحل وعدت هنا حيث الإزدحام المستمر و المولد الذى لم يولد صاحبه بعد و الروائح المنبعثة من هنا و هناك فنظرت إلى نفسي لأتأكد من نفسي و أتأكد من سلامتى فتأكدت وإذ

فجأة تتبعنى شهدكما تمنّت هى الأخرى بأن ترافقنى أينما وجُدت نظرتيمينا و يسارا وجوه مألوفة لى فهنا عم عادل صاحب السوبر ماركت وهنا عم سيد مالك كشك السجائر وهنا أبلة فاطمة الخياطة التى كانت ترسلنى أمّي لها ولكن عجبا إنّهم يرونى ولا يصافحونى و لا يردّوا إشارة تحياتي لهم ولكن لا بأس ... هاهو منزلي وفى المقابل منزلى صديقي محمود حيث تطل من الشرفة والدته تسترق النظر للراحل والقادم بينما ينبعث صوت القرآن المرتفع بوضوح عبر المذياع من منزلنا فناديتها قائلا :

_ محمود .... محمود .. يا طنط سميرة نادى لى محمود...اللعنة ... هل أصبحت صماء و عمياء إنّها تكاد لا تسمعنى بسبب صوت المذياع المرتفع ولكني أشك إنّها

ترانى ... لا بأس لاحقا سأبحث عن محمود ثمّ صعدت لمنزلنا و تبعتنى شهد التى راقبتنى بصمت .

صعدت إلى باب منزلنا وقفت أتأمله بشغف وظللت أطرق و أطرق و أطرق ..حتى بدء الضيق يتسللنى فالتفت إلى شهد مبستما محاولا إخفاءه وقلت :

_ ربما صوت المذياع المرتفع بسببه لم يسمعونى ...

فلننتظر أكثر ... مرت دقائق ثمّ عدت أطرق ثانيا و ثالثا و رابعا و عدة مرات كثيرة حتى غدا طرقي أشبه بتكسير فى الفراغ حتى أنُهكت قواى و فترت حماستى ولم أجد مبررا لما يحدث أقوله لرفيقتى فتوقفت عن الطرق و أسندت رأسي علي الباب بائسا .

فاقتربت شهد منّي وقالت بثقة :

_ دعنى أنا أجرّب هذا .

فنظرت لها بعدم ثقة فشعرت بذلك فتابعت قائلة :

_ أعطنى يديك .

فنظرت لها متعجبا متسائلا فقالت :

_ ثق بي .

فاعتدلت عن الباب و أعطيت يمناي لها لتمسك بها

فوضعت يمناه على باب منزلنا فاخترقناه و كأننا هواء أو

لاشئ و أصبحنا للتوّ داخل بيتى بعد معاناة فنظرت لها

وقلت :

_ أنّي لكِ هذا ؟

فقالت بثقة مبتسمة :

_ كما رأيت .. المهم إناّ هنا .

قالتها و تركتني تتجول فى بيتنا تتفقّده بينما بدأت

أبحث فى المنزل فوجدت خالتى علياء بالمطبخ و

أولادها فى حجرتى مع أخي وصوت المذياع بالقرآن مرتفع ...فسمعت أنينا محمّل بالبكاء تميّزت صاحبته يأتى من حجرة أمّي فاقتربت رويدا رويدا حتى دخلت عليها فوجدتها مستلقاة على السرير منهارة فى البكاء و تحمل بين أحضانها صورتى و تبكي و تبكي و جدّتي والدتها بجوارها تهدأها و تطيب خاطرها ولكن لم تفلح تبكي حتى كاد حلقها يمتنع عن الصوت لم تتغير عندما اقتربت منها فاقتربت أكثر و أكثر ربّت على كتفيها قائلا :

_ إنني هنا يا أمّي .

فانتفضت فجأة عندما لامستها لبرهة ثمّ تابعت بكائها .. اللعنة لماذا لا ترانى ؟... فالتفت فوجدت شهد تراقبنا بعدما أنها جولتها بمنزلنا.

فاقتربت منها وقلت :

_ لماذا لا ترانى أمّي ...أو جدّتى ... أو الآخرون فى الطرقات ؟

فقالت شهد بثقة :

_ لأننا محجبون عنهم .

فقلت لها بعد أن عبس وجهي :

_ ماذا ؟

فقالت شهد :

_ إنّا محجبون عنهم لن يستطيعوا رؤيتنا أبدا .

فقلت لها:

_ لماذا ؟

فقالت و كأنّي أتفهم ما قالته لأول مرّة :

_ لأننا فى الدار الآخرة !!

فأمسكت برأسي محبطا وعدت للخلف خطوات حتى

استوقفنى أقرب جدار مرتطما به فجلست القرفصاء أتابع أمّي تبكي و جدّتي بجوارها تبكي هى الأخرى بهدوء و ترسل الدعوات و تترحم علىّ و تقول :

_ إن شاء الله فى الجنة يا آسر يا حبيبي ... هو أنت كنت عملت ذنب؟... أو أدركت جرم .

حتى وجدت أبي قد جاء و يحمل معه حقيبة أخرج منها شريط دواء وجلس على السرير وقال :

_ هيا يا أمّ آسر خذي هذا الدواء المهدئ حتى ترتاحي قليلا ..

فصرخت أمّي قائلة :

_ لن أرتاح أبدا .. دعنى و شأنى ... أنت السبب لقد أضعته ..أنت من أضعته ... أغرب عنّى .

ثمّ أدارت وجهها بعيدا عنه لتتابع البكاء فوضعت جدّتي

يدها على كتفه وقالت :

_ دعها الآن .

فترك لها حقيبة الدواء وخرج باكيا بينما أراقب هذا

ترقرقت الدموع من عيناي فلو تعلم أمّي أنّي السبب لما

اتهمت أبي .... فلمّا رأتنى شهد كذلك قالت :

_ هيّا يا آسر ...هيّا فلنعد لمنزلنا .

نظرت لها ثمّ عدت أراقب أمّي و جدّتى فقلت :

_ لن أعود .

فقالت شهد :

_ ماذا ؟.... إنّك لن تستطيع البقاء هنا .

فقلت بإصرار :

_ لن أعود .

فهبّ الرجل المتلألئ عبر الحائط قادما عبر هالة نور كبيرة

لم يشعرا بها أمّي و جدتّى كما لم يشعران بى أو بشهد

فقال لى الرجل و كأّنّه كان يراقبنى :

_ ما الفائدة من وجودك هنا إذن ؟

فقالت شهد باحترام :

_ مرحبا بك أيها السيد .

فابتسم لها وقال :

_ مرحبا يا شهد ...

ثم التفت لى وقال بجدية :

_ إخبرنى إذن .

فلم أرد على سؤاله فتابع هو قائلا :

_ دعنى إذن أنا اواجهك بما تتمناه .. أنت تنتظر و تتمنى

أن يشعروا بك فيحتضنوك و تتمنّي أن تخفف عنهم

أحزانهم... أود أن أؤكد لك أنّ هذا لن يحدث أبدا... فأنت

الآن إنتقلت إلى دار لن يمكنك العودة منها فالحل الوحيد لك أن تعود معنا إما إن تظل هكذا أبداً دون جدوى دون أن يدركوا وجودك حتى !!

صدمتنى تلك الكلمات الواقعية الصادمة و جعلتني أفكّر حائرا فيما أتمنّاه حقا و بين واقعي الحالى ...فبسطت شهد يديها لأنهض معاها فتأمّلتها فباغتنى السيد وبسط كفه لى هو الآخر مبتسما وقال لى :

_ هيا يا آسر .

فأمسكت بأيدهما و نهضت قائما و التفت ثلاثنا ناحية الجدار عبر هالة النور التى أتى منها السيد ولكن قبل أن نذهب إلتفت أُلقى نظرة الوداع على أمّي قبل أن تبتلعنا هالة النور عائدة بنا إلي المنزل .

تـمـــــــت